

ابن عبد البر حافظ المغرب

للأستاذ محمد بنيعيش

أولا : عصره :

عاش الحافظ أبو عمر بن عبد البر النمري في عصر مليء بالاضطرابات والاحداث السياسية والفوضى الشاملة ، والتمزق العام في الدولة الاندلسية فشهد ذبول الخلافة الاموية ، وافول نجمها ، واشتعال نار الفتن بقرطبة وافظعها وابشعها الفتنة البربرية التي انت على الاخضر واليابس ، والتي شابت الولدان من شدة هولها وقسوتها ، كما شاهد قيام دولات صغيرة مستقلة سميت في التاريخ الاندلسي بملوك الطوائف .

وكان المجتمع الاندلسي اذ ذاك يتألف من عناصر مختلفة ، تتفاوت في الحقوق والاعتبار وهي : العرب والبربر وأهل البلد الاصليين ، واليهود والرقيق ، والصقالبة ، وطبقات الفقهاء الذين كان بيدهم الحل والعقد .

وكانت المرأة الاندلسية تتمتع بنفوذ واسع ، ولها مكانة عالية في المجتمع الاندلسي ، فقد كانت ذات سلطان واسع وخاصة في أيام هشام ابن عبد الرحمن (1) .

أما من الناحية الدينية ، فقد كان بجانب الجد في القيام بالشعائر الدينية ، اللهو والمجون ، وبجانب الزهد والتصوف ، الفسق والفجور .

(1) تاريخ الادب الاندلسي ص 25 - دار الثقافة - بيروت .

وبقدر ذلك الاضطراب السياسي والتباين الاجتماعي فى عصر ابن عبد البر ، كان الازدهار الثقافى والنهوض العلمى قائما على اشدّه ، فقد ازدهرت الثقافة الاسلاميّة والادبيّة والتاريخيّة والطبيّة والفلسفيّة ازدهارا عظيما ، وذلك بسبب التنافس الذى كان بين ملوك الطوائف ، اذ كان حكام الاندلس يجلبون كبار العلماء والشعراء من جميع الاقطار ، وخاصة من الشرق ، ومن ابرز هؤلاء العلماء ابو علي القالي (2) وصاعد الشعسر البغدادي (3) .

وكانت دراسة القراءان والحديث هي الامر المطلوب فى الاندلس ، فنبع فى ذلك كثير من الاندلسيين ، ومنهم ابن عبد البر ، وكانت العادة فى هذا العصر ان يرحل العلماء الى المشرق للاخذ عن مشايخه ، وهكذا رحل كثير من علماء الاندلس .

ثانيا : حياته :

المعلومات الاولى :

أ - اسمه وكنتيه :

هو ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، حافظ المغرب ، ومجتهده .

وقد لقبه بعض المؤرخين المحدثين بجمال الدين (4) ، وهذا ربما خطأ ، وذلك من وجهتين :

أ - ان جميع كتب التاريخ الاندلسية والمغربية القديمة ، لم يرد فيها ذكر لهذا اللقب .

ب - ان هذا اللقب لم يثبت عن اهل الاندلس او المغرب انهم كانوا يلقبون به .

(2) البغية ص 216 - طبعة مجريط 1884 .

(3) نفس المصدر السابق .

(4) فؤاد افرام البستاني فى دائرة المعارف ج 3 / 339 - ط : 1 ، والمربى فى الابحاث

السامية ، معهد فرانكو ، ط : تطوان .

وكنيته أبو عمر ، من باب الكنى الاصطلاحية ، لاسم يوسف ، كقولهم لعبد الرحمن أبو زيد ولاحمد أبو العباس ، ولمحمد أبو عبد الله ، لا انه كنى بها جريا على عادة العرب ، الذين كانوا يكونون بأسماء اولادهم أو آبائهم .

وقد اشتهر ابن عبد البر باسميه العلميين (5) : ابي عمر عبد البر ، او ابن عبد البر ، وقد كان بعض المؤلفين يسميه باسمه الحقيقي يوسف (6)

وفى يوسف ست لغات ، ضم السين وفتحها وكسرهما مع الواو وضمها وفتحها وكسرهما مع الهمزة عوض الواو ، فالمجموع ست لغات . والياء فى اوله مضمومة فى اللغات الست .

والنمري بفتح النون والميم ، وبعدها راء ، نسبة الى النمريين قاسط بفتح النون والميم (7) وإنما تفتح الميم فى النسبة خاصة ، استحاشا لتوالي الكسرات .

أما فى عصرنا الحاضر ، فيعبر عنه بأبن عبد البر ، وهذا هو الغالب على اللسن وأحيانا يضاف اليه النمري نسبة الى جده الأعلى .

ب - نسبه وأصله :

وينتمي نسب ابن عبد البر الى النمري بن قاسط بن هنب بن اقصى بن دهمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان (8) .

والنمري بن قاسط قبيلة من قبائل ربيعة ، وهى قبيلة عظيمة ومشهورة بالفصاحة والكرم حتى صار ينتسب اليها كل من يدعى الفصاحة والكرم (9) وقد انتقلت بطون ربيعة الى الاندلس من الشام فى مستهل

(5) فى كنية يعبر هو عن نفسه بابي عمر .

(6) ابن حزم فى كتابه المحلى .

(7) وفيات الاعيان ج : 71/7 - تحقيق د. احسان عباس ، الديباج المذهب 359/3 ط2 .

(8) نفح الطيب ج : 293/1 . تحقيق الدكتور احسان عباس ط : 1 .

(9) سير النبلاء للذهبي ج : 16/2 - ط : 1 . وفيات الاعيان ج : 71/7 ، تحقيق

الدكتور احسان عباس ، ط : 1 .

الفتح الاسلامي لها ، ونزلت باقليم وادي آش ، حيث اشتهر هذا المكان باسمهم ، ثم نزلت قبيلة النمر بن قاسط لحصن وضاح من عمل رية .

لكن اذا كانت بطون ربيعة وفروعها نزلت بواد آش وبحصن وضاح ، فمتى انتقل اجداد ابن عبد البر الى مدينة قرطبة ؟

ان التاريخ لا نراه يتحدث عن هذه العائلة الا وهي مستقرة في قرطبة فلم يحدد اسم الرجل الذي رحل اليها ولا تاريخ انتقاله . وكيفما كان الامر فان نسب ابن عبد البر عربي صريح واصيل في العروبة .

وقد انجبت هذه العائلة عددا كبيرا من العلماء والادباء من بينهم :

أ - جد ابن عبد البر : وهو محمد بن عبد البر النمري من اهل قرطبة . وكان من العلماء العاملين ، ومن الزهاد المنتطعين الى الله (10) ولد سنة ثلاثمائة هجرية بقرطبة ، وتلقى العلم والفقه عن يحيى بن مجاهد ابن عوانة الغزالي الفقيه والراوي (11) .

ب - أبوه : وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري ، فقيه مالكي واديب بارع ، ولد سنة ثلاثين وثلاثمائة هجرية بقرطبة ، سمع من أحمد بن مطرف ، وأحمد بن سعيد بن حزم ، وأحمد بن دحيم بن خليل ، وأبي بكر بن الأحمر ، ومحمد بن أحمد بن قاسم بن هلال وأبي ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفقيه الذي قرأ عليه المدونة ، ولم يسمع منه، وإنما اخذ عنه بالوجادة (12) .

ج - ابنه : وهو أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله النمري، فانه من اهل الادب البارع ، ومن الكتاب المجيدين ، والشعراء المطبوعين ، استوزره المعتضد بن عباد ولقب بذي الوزارتين ، وأخيرا سجنه ، وكاد ان يفتك به ، لولا أبوه الذي انتقذه من السجن ، توفي سنة ثمانين وخمسين وأربعمائة (13) .

(10) التكملة لابن البار ج : 371/1 ، نشر عزت المطار سنة 1375 هـ - 1956 م ط : 1

(11) تاريخ علماء الاندلس لابن الفرسي ص : 190 - الدار المصرية للترجمة والنشر .

(12) الصلة لابن بشكوال ، مجلد : 239/1 - طبعة مدريد .

(13) نفح الطيب ج : 597/1 ، تحقيق الدكتور أحسان عباس - دار الفكر - بيروت .

د سبطه : وهو أبو محمد عبد الله بن علي بن أحمد اللخمي ، وهو من أهل شاطبة ، ولد سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة هجرية ببلنسية ، فقيه مالكي ، من رجال الحديث ، روى عن جده أبي عمر بن عبد البر ، وأجاز له رواياته ، وتأليفه سنة اثنتين وستين وأربعمائة هجرية .

ولى منصب القضاء بالمغرب فى أغمات ، وحدث بها ، توفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة هجرية (14) .

هـ - أمه : أما أمه فلم يتعرض لها أحد من المؤرخين وأصحاب السير وربما ذلك راجع الى أن المؤرخين القدامى كانوا لا يعيرون للبيئة والوراثة أية قيمة ، فلنكتف إذا بأنه كانت لابن عبد البر أم حنون ، عنيت به ككل الامهات ، وكذلك لم يذكر لنا التاريخ شيئاً عن اخوته أو اقاربه .

وابن عبد البر نفسه لم يصرح ولم يلمح بذكر اخوة له ، ولا نريد أن نتبسط هنا أن عدم الذكر يفيد عدم الوجود .

ج - مولده ونشأته :

اختلف المؤرخون وأصحاب التراجم ، فى تاريخ ولادة ابن عبد البر وكذلك فى وفاته ، فأما ولادته ، فقال بعضهم ، انه ولد فى رجب سنة اثنتين وستين وثلاثمائة هجرية عام 978 م (15) ، وقال البعض الآخر انه ولد سنة : ثلاث وستين بعد الثلاثمائة من الهجرة (16) ، وذكر البعض الآخر انه ولد فى الرابع أو الخامس والعشرين من ربيع الثانى سنة ثمان وستين وثلاثمائة هجرية ، الموافق للتاسع والعشرين من نونبر من السنة الشمسية ثمانية وسبعين وتسعمائة ملادية .

واذا رجعنا الى تمحيص هذه الاقوال ، ومقارنتها ، نجد ان مولد ابن عبد البر - على كل الاحوال - ينحصر بين اثنتين وستين وثلاثمائة هـ . وبين ثمان وستين وثلاثمائة هجرية ، ولا يتعدى الستينات بعد الثلاثمائة .

(14) التكملة على كتاب الصلة ج : 821/2 - نشر عزت المطارسنة 1375 هـ - 1956 م .

(15) الجذوة ص : 344 ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، طبعة القاهرة - البقية ص : 474 ، فقرة 1442 ، طبعة مجريط ، بطبع روكس .

(16) الاستيعاب بها من الاصابة .

وبتحليل هذه الأقوال نرى ان المؤرخين اما اتبعوا الحميدي والضبي
واما اتبعوا ابن بشكوال وابن فرحون ، لكن الحميدي وبعده الضبي لا يعتمد
على اية وثيقة تاريخية ، بينما ابن بشكوال ومن تبعه يعتمد على وثيقة
تاريخية ، بينت فيها الحالة المدنية لابن عبد البر ، اذ نقل أبي بشكوال عن
تلميذ ابن عبد البر طاهر بن مفوز انه قال : « سمعت ابا عمر يقول : ولدت
يوم الجمعة والامام يخطب لخمس بقين من ربيع الثاني سنة ثمان وستين
وثلاثمائة هجرية وهو اليوم التاسع والعشرون من نونبر ، قال طاهر ارانيه
الشيخ بخط ابيه عبد الله بن محمد رحمه الله » .

فهذه الوثيقة تدل على ان قول ابن بشكوال اثبت واصح ، لانه مروي
عن ابن عبد البر نفسه ، والقول بالدليل اصح واثبت من القول بلا دليل .

وعليه فابن عبد البر ولد سنة ثمان وستين وثلاثمائة هـ ، الموافق
للسنة الثامنة والسبعين وتسعمائة ميلادية بمدينة قرطبة ، حاصر الدولة
الاسلامية اذ ذاك في قلب أوروبا .

وقد نشأ بقرطبة بين أبوين كريمين ، وفي كنف أسرة مشهورة بالعلم
والعرفان ، وعريقة في الخير والصلاح ، اختارت له منذ صباه المنهج الذي
سلكته في حياتها وعاشت عليه ، فوجهته منذ وقت مبكر نحو العلم ،
وهيأت له كل الاسباب لذلك ، ويسرت له كل السبل والوسائل للوصول
الى مبتغاها .

وهكذا نما وترعرع في بيئة خصبة معطاء ، ورغم ان التاريخ لم يذكر
شيئا عن تربيته وتعليمه التعليم الاولي ، فاننا نستطيع ان نقول بنسأء على
سلوكه واخلاقه - انه اتبع في تربيته اسلوب التربية التي تلقاها امثاله
واترابه من - اولاد الاسر المتدينة والمثقفة كابن حزم المعاصر له ، فلا
شك انه كان محاطا بعناية فائقة ، واهتمام كبير ، لانه تربى تربية عالية ،
وتلقى تعليما ممتازا على يد أسرته ، وعلى يد المؤدبين والمعلمين .

ومن المرجح ان ابا عمر بن عبد البر اتبع في تعليمه في المرحلة
الاولى ، اسلوب التعليم السائد في الاندلس ، حينذاك ، فلحق منذ صباه

بعض الآى من القرآن الكريم سمعا ، ثم الكتابة والقراءة بواسطة لوح من الخشب ، اما على يد أبيه او على يد المعلم .

ولعله عندما توفي أبوه كان قد قطع شوطا بعيدا فى التعليم والتربية الامر الذي مكنه من متابعة مسيرته الثقافية واتمامها بنجاح .

والواقع ان التاريخ لم يشر الى شيء من تعليمه وتربيته فى الصبا وانما اكتفى بأن ذكر موت أبيه سنة ثمانين وثلاثمائة هـ . (17) وانه لم يسمع عنه شيئا .

طلبه للعلم :

حصل ابن عبد البر فى صباه المبادئ الاولى على يد أبيه وربما جده ، ثم بدأ يطلب العلم والفقه ، ويسمع الحديث من كبار شيوخ قرطبة وفقهائها ، وذلك فى حدود سنة ست وثمانين وثلاثمائة هجرية ، أى منذ نعومة أظفاره ، فقد بدأ دراسة العلم وعمره لا يتعدى الحادية عشرة سنة ، على أستاذه عباس بن أصبغ الهمداني ، الذي توفي سنة ست وثمانين وثلاثمائة هجرية ، وعلى أستاذه عبد العزيز بن أحمد الاخفش الملقب بالنحوي ، وهو أول شيخ سمع منه قبل الاربعمائة من الهجرة .

ومعنى هذا ان ابن عبد البر بدأ يدرس العلم وهو لا زال طفلا صغيرا وهذا ليس غريبا اذا ما نظرنا الى عادة الاندلسيين فى تعليم ابنائهم عند الصبا ، وخاصة هذا النوع من الاسر .

ومن المقرر ان المبتدئ الناشئ فى دراسة العلم لا يتدب العلم يلقف من هنا وهناك الا بعد ان يستكمل تكوينه الاولى والاساسي ، اذ يلزم عالما واحدا زمنا طويلا او قصيرا ، حتى يتخرج عليه ، فاذا أخذ ما عنده انتقل الى الآخر ليستكمل ما تعلمه على الاول .

وهكذا لازم ابن عبد البر ابا عمر أحمد بن عبد الملك المعروف بابن المكوى ، فقرا عليه الفقه (18) بكتابه الذي ألفه بمشاركة ابسى مروان

(17) الصلاة مجلد : 239/1 - طبعة مجريط .

(18) المدارك ج : 808/4 - طبعة - بيروت .

المعيطي (19) وظل معه مدة طويلة لا تقل عن سبع سنوات ، فكتب بسن يديه علما كثيرا (20) .

كما لازم شيخه ورفيقه فى الدراسة ابا الوليد بن الفرضي ، واخذ الفقه والحديث والادب وعلم الرجال (21) . وقد قال عنه ابن عبد البر نفسه : « كان فقيها عالما فى جميع فنون العلم ، فى الحديث وعلم الرجال ، وله تواليف حسان ، وكان صاحبي ، ونظيري اخذت معه عن اكثر شيوخه » (22) .

وفى مسجد « متعة » بقرطبة كان يختلف الى مجلس ابي عمر بن عبد الله المعروف بالظلمنكي المقرئ الكبير (23) فاخذ عنه علم القراءات والحديث ، والفقه ، وتأثر به فى الصلاح والتقوى والدفاع عن مذهب اهل السنة ، ومحاربة اهل البدع والاهواء .

وبعد ما اشتد عوده ، وتمكن من هضم القواعد والاصول العلمية من نحو وفقه واصول ، وعلم الحديث ، راح يفتى مجالس العلم بدون استثناء ، وخاصة مجالس المحدثين ، التي كانت تعقد بجامعة قرطبة ومساجدها المختلفة ، وفى منازل العلماء فى قرطبة وخارجها (24) .

تلقى ابن عبد البر دراسته كلها تقريبا بقرطبة مسقط رأسه ، حيث كانت تموج بالعلماء الذين اختلفت مشاربهم ، وتباينت آراؤهم ، وزخرت بأنواع العلوم والمعارف والفنون ، فيها القراء والمحدثون ، وفيها الفقهاء والمتصوفون ، وفيها الادباء والمتفلسفون .

فى هذا الجو الثقافى الممتاز اقبل ابن عبد البر يعب المعارف ، ويكرع العلوم على كبار علمائها ، والوافدين عليها ، يلازمهم ويأخذ عنهم كل ما يلائم اتجاهه وميوله ، حتى نبغ فى الحديث والفقه والاخبار والانساب .

(19) هو كتاب كبير فى اقاويل مالك على شاكلة الكتب التي الفت فى اقاويل الشافعي .

(20) الجدوة ص : 123 - المدارك ج : 808/4 - طبعة - بيروت .

(21) الجسدوة ص : 23 - طبعة القاهرة .

(22) الصلاة ، مجلد : 248/1 - طبعة مجريط .

(23) الجدوة ص : 106 - طبعة القاهرة - الصلاة : 48/1 - طبعة مجريط .

(24) انظر رسالتي فى ابن عبد البر لنيل الدبلوم فى العلوم الاسلامية ، تجد المساجد التي كان يختلف اليها .

وهكذا ، تكون قرطبة هي مدرسته الابتدائية ، وهي ثانويته وجامعته، لكنه كان احيانا ينتقل الى مدينة اشبيلية ، يرفقه صديقه ونظيره ابن حزم، للدراسة والسماع من علمائها (25) .

ظل ابن عبد البر فى قرطبة يقتطف من اشجارها ما لذ وطاب من فنون العلم وانواع الآداب الى حدود السنة الثالثة بعد الاربعمائة الى قيام الفتنة البربرية ، وقد كفته الرحلة الى المشرق ، حيث كانت مهوى افئدة العلماء الوافدين اليها من الاندلس او من بلاد المشرق ، الذين عوضوه عن الرحلة الى المشرق .

خروجه من قرطبة وتجوله فى الاندلس :

ظل ابن عبد البر بقرطبة الى ان قامت الفتنة البربرية ، فرحل منها الى غيرها من المدن الاندلسية شرقا وغربا ، او على الاصح فر منها الى غيرها من المدن الاندلسية ، اذ كانت حوادث هذه الفتنة من القسوة والهمجية ما تقشعر منه الجلود ، بحيث دفعت كثيرا من العلماء وجمهرة الناس الى الرحيل العاجل ، كان من بينهم أبو عمر بن عبد البر .

ففى سنة 403 هـ ، جلى ابن عبد البر عن وطنه قرطبة (26) موليا وجهه نحو جهات مختلفة من بلاد الاندلس ، ولم يشر المؤرخون الى سبب جلائه؛ امن هول هذه الفتنة ؟ او من اجل مشاركته الامويين فى الحكم ؟ ومن اجل الفلسفة .

ان التاريخ لم يذكر شيئا من ذلك ، فلم يثبت عن ابن عبد البر انه شغل منصبا سياسيا او قضائيا على عهد الامويين او خلفائهم العامين مثل صديقه ابن حزم ، ولم يثبت انه كانت له علاقة بالامويين ، اللهم الا من حيث ان اباه كان فقيها ، وهو نفسه كان فقيها اذ ذاك ، ومعلوم ان الفقيه فى هذا العصر كان يتمتع بمركز اجتماعي يوازي مركز الامير ، الفقهاء كان لهم فى الدولة الاموية بالاندلس نفوذ قوى ، اذ بيدهم الحل والعقد ، ومعظم المشورة فى شؤون الدولة ، ومن هنا يمكن ان نقول ان الفقهاء

(25) نفع الطيب ج : 82/2 ، تحقيق الدكتور احسان عباس - دار الفكر - بيروت .

(26) الصلوة ، مجلد : 618/2 - طبعة مجريف .

كان البرابرة والثائرون يعتبرونهم من انصار الحكم القائم ، ولكن هذا الاحتمال يتلاشى عند ما نرى أن ابن عبد البر لم يرجع الى قرطبة بعد استقرار الاوضاع ، وخاصة عند ما استولى على الحكم فقيه مثله وهو أبو الحزم بن جوهـر .

أما اشتغاله بالفلسفة ، فغير وارد ، ولا يمكن أن يكون سببا في جلاء ابن عبد البر ، مع العلم أنه كان يكره الفلسفة التي لا تقوم على الكتاب والسنة .

والواقع أن ابن عبد البر كان يميل الى الهدوء والاستقرار ، ولذا لما وجد من يوفر له ذلك لازمه واستغنى عن قرطبة .

رحل ابن عبد البر من قرطبة ، واتجه نحو غرب الاندلس ، فأقام بأشبيلية مدة ، وكان ربما قصد الاستيطان بها ، ولكن تلقى فيها معاملة غير ملائمة وخاصة ممن كان يظن أنهم أصدقاؤه (27) .

ولما لم يلق به المقام في أشبيلية ، رحل الى دانية ، وألقى بها عصا التسيار ، حيث وجدها خير مكان طالما بحث عنه ، فاتصل بأمرها مجاهد ابن عبد الله العامري فكرمه وأحاطه بعطفه وعنايته ، إذ كان يمتاز هذا الأمير بحبه الشديد للعلم والعلماء ، وجمع الكتب ، فاجتمع بيديه جملة من مشايخهم أمثال أبي عمرو الداني (28) وابن سيدة (29) وقد ظل ابن عبد البر بدانية الى حدود سنة 432 هـ أى الى أن توفي أبو الجيش مجاهد العامري ثم رجع الى غرب الاندلس ، فاتصل بالمظفر بن الافطس صاحب بطليموس (30) ، فولاه منصب القضاء في لشبونة وشنترين (31) .

وبعد وفاة المظفر بن الافطس سنة 434 هـ رجع الى شرق الاندلس، ف قضى هناك البقية الباقية من عمره ، متنقلا بين دانية وبلنسية وشاطبة (32) ، وذلك في اوقات مختلفة .

(27) بهجة المجالس ج : 243/1 -

(28) نفح الطيب ج : 386/1 ، تحقيق د. احسان عباس - دار الفكر - بيروت .

(29) البقيّة ص : 405 - طبعة مجريط .

(30) وفيات الاعيان ج : 68/7 ، تحقيق الدكتور احسان عباس .

(31) نفس المصدر السابق .

(32) الملّة مجلد : 618/2 - طبعة مجريط .

وتعد الفترة التي قضاها ابو عمر بن عبد البر فى دانية من اجمل ايامه واسعدها ، اذ فيها اشتهر وظهر علمه ، وفيها وجد راحته والهدوء الذي كان يبحث عنه (33) .

وخلال تنقله فى ربوع الاندلس ومدنها شرقا وغربا ، كان يقوم بالتدريس والتأليف ، والاتصال بالعلماء ، فيسمع منهم الحديث وياخذ عنهم العلم .

وكان التدريس والتأليف وهما ايا الامراء والملوك من مصادر رزقه وعيشه ، لان العلماء فى عصره كانوا ياخذون الاجرة على التعليم والتحديث (34) فكانوا يتكسبون بعلمهم ويعانون بعد الفقر ويشتهرون بعد الخمول (35) .

ثالثا : شيوخه وتلامذته :

١ - شيوخه :

ان ابن عبد البر قديم السماع ، كثير الشيوخ (36) فلا يمكن للدارس ان يحصيهم ويعددهم كلهم ، لكن ما لا يدرك كله ، لا يترك جله ، لذا سأحاول ان اضع قائمة لشيوخه الذين استطعت العثور عليهم فى بطون مؤلفاته وفى كتب التراجم والسير : وهاكم بعض شيوخه فى سطور :

1) أبو الوليد عبد الله بن يوسف المعروف بابن الفريسي (37) رحل الى المشرق وله تأليف عديدة ، قرأ عليه ابن عبد البر تاريخ وكتاب المؤتلف والمختلف فى أسماء الرجال ، ورسالة ابن ابي زيد القيرواني فى الفقه ، وكتاب المنبه ، لابي الحسن القاسبي (38) .

(33) المفهرست ج : 407/2 .

(34) الصلاة ص : 48 - طبعة مجرىط .

(35) تاريخ علماء الاندلس لابن الفريسي ص : 278 - الدار المعربة

(36) الجدوة ص : : 344 ، تحقيق بن تاويت الطنجي - مكتبة نشر الثقافة الاسلامية - القاهرة .

(37) انظر ترجمة كافة فى رسالة محمد بنيعيش لنيل دبلوم الدراسات العليا الاسلامية من دار الحديث الحسنية .

(38) الجدوة ص : 238 - طبعة مجرىط .

2 (أبو عمر أحمد بن محمد الظلمنكي ، امام فى القراءات وثقة فى الروايات (39) رحل الى المشرق اخذ عنه ابن عبد البر علم الحديث وعلم القراءات .

3 (أحمد بن فتح الرسان أبو القاسم ، له رحلة الى المشرق ، كان حافظا للحديث وعالما بالقراءات ، وألف كتباً حسنة منها كتاب فى الفرائض . قرأ عليه ابن عبد البر كتاب « الدار » و « مقتل عثمان » لعمر بن شبة النمري (40) .

4 (أبو القاسم خلف بن سهل ، له رحلة الى المشرق ، كان عالماً بالقراءات وتجويد القرآن ، حافظاً للحديث وعالماً بطرقه (41) وألف كتباً حسنة فى الزهد ، وخرج من كتب الأئمة « حديث مالك » ومسند شعبه ابن الحجاج ، وأسماء المعروفين بالكنى من الصحابة والتابعين ، وكتاب « الخائفين » و « اقضية شريح » و « زهد بشر بن الحاج » (42) .

5 (أبو العباس أحمد الاقليشي ، له رحلة الى المشرق ، محدث فقيه ، قرأ عليه ابن عبد البر حديث علي بن الجعد ، وسمع منه منشوراً كثيراً (43) .

6 (أبو علي اسماعيل بن عبد الرحمن القرنين - رحل الى مصر ، محدث ، فقيه ، قرأ عليه ابن عبد البر « مختصر ما ليس فى مختصر ابن عبد الحكم » وكتابه فى « الاشربة وفى النساء » (44) .

7 (سلمة بن سعيد الاستجي ، فقيه محدث ، رحل الى المشرق ، سمع منه ابن عبد البر كتاب « التامين خلف الامام » و « شرح قصيدة ابن ابي داود من تأليفه .

(39) الصلاة ص : 106 - طبعة مجريط .

(40) الجريدة ص : 132 - طبعة مصر .

(41) تاريخ علماء الاندلس لابي الفرضي ص : 138 - الدار المصرية للتأليف والترجمة .

(42) نفس المصدر .

(43) الجريدة ص : 133 - الطبعة الاولى - مصر .

(44) الجريدة ص : 153 .

8) أبو محمد عبد الله التجيبي المعروف بابن الزيات ، رحل إلى المشرق رحلتين ، كان كثير الحديث ، مسندا صحيحا للسمع (45) .

9) أبو المطرف عبد الرحمن القنارعي ، رحل إلى المشرق ، فقيه مالكي ، من رجال الحديث والتفسير ، ألف « كتاب الشروط » على مذهب مالك ، وله « شرح الموطأ » واختصار تفسير ابن سلام (46) .

10) أبو القاسم عبد الرحمن الهمداني ، المعروف بالحراز ، رحل إلى المشرق ، محدث فقيه وكان رجلا صالحا يحب العزلة (47) .

11) أبو زيد عبد الرحمن العطار ، له رحلة إلى المشرق ، محدث ، فقيه ، قرا عليه ابن عبد البر « جامع ابن وهب » (48) .

12) أبو الأصبع عبد العزيز النحوي ، ويعرف بالاخفش ، رحل إلى المشرق ، نحوي ولفوي (49) .

13) أبو عمر أحمد بن عبد الله المعروف بابن الباجي ، له رحلة إلى المشرق ، عالم ، محدث ، كان يحفظ غريب الحديث لأبي عبيدة وأبي قتيبة (50) قرا عليه ابن عبد البر « المنتقى » لأبي الجارود ، وكتاب « الضعفاء والمتروكين » للمؤلف نفسه .

14) أبو الوليد سليمان الباجي ، القاضي باشبيلية ، رحل إلى المشرق ، فقيه ، ومحدث ، روى عنه حافظ المغرب ابن عبد البر ، وحافظ المشرق ، الخطيب البغدادي .

15) أبو الأصبع عيسى المقرئ ، رحل إلى المشرق ، محدث ، فقيه ، أديب (51) .

(45) تاريخ علماء الاندلس لابن الغرضي ص : 247 - الدار المصرية للترجمة والنشر .

(46) الاعلام للزركلي ج : 112/4 - الطبعة الثانية .

(47) الصلة ص : 311 - طبعة مجرّبت .

(48) الجذوة ص : 261 - الطبعة الاولى - مصر .

(49) الجذوة ص : 269 - الطبعة الاولى - مصر .

(50) الجذوة ص : 120 - الطبعة الاولى - مصر .

(51) تاريخ علماء الاندلس لابن الغرضي ص : 336 - الدار المصرية للتأليف والترجمة .

16) أبو عمر أحمد بن هشام ، رحل إلى المشرق ، محدث ، وكان رجلاً فاضلاً .

17) أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن ضيفون ، فقيه مالكي ، من رجال الحديث ، رحل إلى المشرق .

18) أبو عبد الله محمد بن البقري ، رحل إلى المشرق ، له حظ وافر من العلم .

19) أبو عبد الله محمد بن خليفة ، رحل إلى المشرق ، من رجال الحديث ، وكان رجلاً صالحاً يتبرك به .

20) أبو عبد الله محمد الأموي ، رحل إلى المشرق ، فقيه ، ومن رجال الحديث والآداب (52) .

21) أبو بكر الرازي بن عبد الوارث ، قدم إلى الأندلس من المشرق ، محدث وفقيه (53) .

22) أبو عبد الله محمد بن رشيد المكتوب ، ويعرف بالسراج ، رحل إلى المشرق ، كان من رجال الحديث ومن قراء القرآن (54) .

23) أبو عبد الله محمد بن عمرو ، رحل إلى المشرق ، فقيه محدث ، ولي الإحياس بقرطبة (55) .

24) أبو الوليد هشام بن فتحون ، رحل إلى المشرق ، فقيه ومن رجال الحديث .

25) أبو محمد مسلمة البتري ، من رجال الحديث ، رحل إلى المشرق ، قرأ عليه ابن عبد البر كتابه في « فضل طلب العلم » .

(52) الصلاة ص : 372 - طبعة مجرّط .

(53) الصلاة ص : 543 - طبعة مجرّط .

(54) الجسد ص : 52 - الطبعة الأولى - مصر .

(55) الصلاة ص : 469 - طبعة مجرّط .

(56) الجسد ص : 234 - الطبعة الأولى - مصر .

- 26) أبو محمد عبد الله بن أسد الجهني ، رحل الى المشرق ، محدث ، قرأ عليه ابن عبد البر « مصنف النسائي » (56) .
- 27) أبو عبد الله محمد بن الحذا ، رحل الى المشرق ، فقيه ، حافظ ، ومن رجال الحديث (57) .
- 28) أبو الحسن على الشرازي ، قدم من المشرق الى الاندلس ، فقيه ، محدث ، .
- 29) أبو عبد الله محمد بن يحيى ، رحل الى المشرق ، محدث ، فقيه .
- 30) أبو العباس أحمد بن الدلائي ، كان من رجال الحديث الكبار ، عالي السند (58) .
- 31) أبو القاسم أحمد بن الرسان ، رحل الى المشرق ، كان فقيها فرضيا ، ومن اهل الحديث (59) .
- 32) أبو عثمان سعيد بن نصر ، ويعرف بابن الفتح ، رحل الى المشرق ، شيخ محدث ، أديب ، فصيح ، كان من الملازمين لقاسم بن أصبغ البياضي ، درس عليه ابن عبد البر « كتاب المجتبى » لقاسم بن أصبغ (60)
- 33) أبو الفضل أحمد الطاهري ، رحل الى المشرق ، فقيه ومحدث ، قرأ عليه ابن عبد البر كتاب « فضائل الجهاد » و « صريح السنة » لابن جرير الطبري (61) .
- 34) أبو الوليد يونس بن الصفار ، فقيه مالكي ، وعالم بالحديث ، متصوف وأديب وشاعر (62) .

-
- (57) البقيّة ص : 136 - طبعة مجرّط .
 (58) الصلّة ، مجلد : 69/1 - طبعة مجرّط .
 (59) الصلّة ، مجلد : 69/1 - طبعة مجرّط .
 (60) الجندوة ص : 218 - الطبعة الاولى - مصر .
 (61) الجندوة ص : 132 - الطبعة الاولى - مصر .
 (62) الجندوة ص : 362 - الطبعة الاولى - مصر .

(35) أبو عمر بن الجسور ، حافظ ، فقيه ، عالم بالانساب وأسماء الرجال ، قرأ عليه ابن عبد البر كتاب « ذيل المديسل » لابن جرير الطبري (23) .

(36) أبو الاصبح بن بحت ، من رجال الحديث ، قرأ عليه ابن عبد البر « كتاب العلم » لابن حزم أحمد بن سعيد . ومصنف أبي عبد الرحمن النسائي .

(37) أبو عثمان يعيث بن سعيد الوراق ، محدث ، فقيه ، له كتاب « مسند حديث أبي بكر بن معاوية القرشي » (64) .

(38) أبو الحزم وهب الشذوني ، شيخ صالح ، محدث ، فقيه ، حافظ للراي ، قرأ عليه ابن عبد البر كتاب : « غرائب حديث مالك » (65)

(39) أبو اسحاق ابراهيم بن شاكر فقيه مالكي ، محدث ، ذو فضل وصـلاح (66) .

(40) أبو عبد الله عبيد الله بن محمد ، محدث ، فقيه (67) .

(41) أبو المطرق عبد الرحمن بن فطيس ، حافظ للحديث ، عالم بعلمه ورجاله ، كان قاضيا للجماعة بقرطبة (68) .

(42) أبو المطرف عبد الرحمن بن نصر الرفاء ، فقيه ، محدث ، كتب اليه من المشرق أبو يعقوب بن الداخل ، وأبو القاسم السقطي (69) .

(43) أبو بكر عباس الهمداني الحجازي شيخ من رجال الحديث ، ضابط (70) .

-
- (63) الجـسـدوة ص : 101 - الطبعة الاولى - مصر .
(64) تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي : 199/ - الدار المصرية للترجمة والنشر .
(65) الجـسـدوة ص : 338 - الطبعة الاولى - مصر .
(66) الجـسـدوة ص : 146 - الطبعة الاولى - مصر .
(67) نفس المصدر السابق .
(68) الصلـة : 303/5 - طبعة مجرىط .
(69) الصلـة : 303/5 - طبعة مجرىط .
(70) تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي : 298/1 - الدار المصرية للترجمة والنشر .

44) أبو حفص عمر بن نمارة ، فقيه مالكي ، محدث ، روى عنه ابن عبد البر تاريخ أبي عبد الله ابن عبد البر فى فقهاء قرطبة ، وكتابه فى القضاء (71) .

45) أبو عبد الله محمد بن المكتب ، فقيه ، محدث (72) .

46) أبو عبد الله محمد بن أبي القرامية ، فقيه من رجال الحديث وعلمائه ، ومن كتبه : « كتاب فى كلام أبي زكرياء بن معين » فى ثلاثين جزءا .

47) أبو جعفر محمد الاسدي . أديب ، ومن رجال الحديث وعلمائه (73) .

48) أبو القاسم أحمد بن عصفور ، أديب شاعر من اهل الفضل والصلاح (74) .

49) أبو العاصي أمية بن غالب المورودي ، شاعر ، محدث ، أديب (75) .

50) أبو نصر هارون القيسي ، عالم من رجال الحديث والادب (76)

51) أبو عمر يوسف بن عمرو ، فقيه ، حافظ للمسائل ، رئيس المقتبس ، محدث ، مؤدب (77) .

52) أبو بكر يحيى بن مسعود ، من رجال الحديث ، فقيه مالكي ، قرأ عليه ابن عبد البر ما خرجه محمد بن وضاح فى الصلاة فى النعلين (77)

53) أبو محمد قاسم بن عسلون ، فقيه ومحدث ، أخذ عنه ابن عبد البر تاريخ الرازي الاوسط ، وأجاز له رواياته (79) .

(71) الجريدة ص : 284 - الطبعة الاولى - مصر .

(72) الجريدة ص : 38 - الطبعة الاولى - مصر .

(73) الصلاة : 474/1 - طبعة مجرىط .

(74) الصلاة ص : 32 - طبعة مجرىط .

(75) البغية ص : 227 - طبعة مجرىط .

(76) الصلاة ص : 595 - طبعة مجرىط .

(77) تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي ص : 208 - لادار المصرية .

(78) الجريدة ص : 354 - الطبعة الاولى - مصر .

(79) الصلاة ص : 459 - طبعة مجرىط .

(54) خلف بن المنفوخ ، فقيه ، محدث ، مالكي ، روى عنه ابن عبد البر مسند علي بن عبد العزيز (80) .

(55) خلف بن أحمد المعروف بابن أبي جعفر ، فقيه ، عالم بالتعديل والتجريح ، سمع منه ابن عبد البر التاريخ الكبير فى التعديل والتجريح لأحمد بن سعيد (81) .

(56) أبو علي بن عبد الله البيجاني ، فقيه مالكي ، محدث ، روى عنه ابن عبد البر « الواضحة » لعبد المالك بن حبيب (82) .

(57) أبو محمد عبد الفني المصري الأزدي ، شيخ ، حافظ بمصر فى عصره أخذ ابن عبد البر عنه بالمكاتبة .

(58) أبو ذر الهروي ، عالم بالحديث ، من الحفاظ ، ومن فقهاء المالكية (83) روى عنه بالمكاتبة .

(59) أبو القاسم السقطي من مكة ، كاتب ابن عبد البر (84) .

(60) أبو الفتح بن سيحت ، كاتبه (85) .

(61) أبو محمد بن النحاس من مصر ، كاتبه (86) .

(62) أحمد بن نصر الدراوردي من مكة ، كاتبه (87) .

ب - تلاميذه :

لقد كثر تلاميذ أبي عمر بن عبد البر كثرة يصعب على المرء ان يحيط بهم جميعا ، وذلك نظرا لمكانته العلمية ، ولعلو سنده ، وتهافت

(80) الجريدة ص : 194 - الطبعة الاولى - مصر .

(81) نفس المصدر .

(82) الجريدة ص : 83 - الطبعة الاولى - مصر .

(83) الاعلام للزكلى ج : 4 ص : 41 - الطبعة الثانية .

(84) الصلوة ص : 459 - طبعة مجرىط .

(85) تذكرة الحفاظ ، مجلد : 1128/3 - الطبعة الرابعة .

(86) الصلوة ، مجلد : 616/2 - طبعة مجرىط .

(87) الصلوة ، مجلد : 616/2 - طبعة مجرىط .

طلاب العلم عليه ، وطول عمره ، الذي قضاه كله فى خدمة العلم ،
وساقترصر فى هذه النبذة على ذكر أهمهم وهم :

1 - أبو محمد علي بن حزم ، الفقيه ، المحدث ، المجتهد ،
الفيلسوف ، الأديب ، المؤلف الكبير (88) .

2 - أبو محمد عبد الله بن عبد البر ابنه ، أديب ، بارع ، ذو
الوزارتين (89) .

3 - أبو محمد عبد الله اللخمي سبطه ، فقيه مالكي ، من رجال
الحديث ، روى عن جده وأجاز له رواياته وتأليفه (90) .

4 - أبو عبد الله محمد بن فتحون الحميدي ، من رجال الحديث ،
فقيه ، حافظ ، مؤلف ، كان فريداً فى عصره (91) ، كان ظاهرياً على
مذهب ابن حزم (92) .

5 - أبو زيد عبد الرحمن بن الحشا ، فقيه عالم ، قاضي
طليطلة (93) .

6 - أبو بكر بن القدرة ، فقيه ، مستشار ببلنسية ، ومن رجال
الحديث (94) .

7 - أبو الحسن بن مفوز ، فقيه ، محدث ، من رجال الأدب هو
الذي صلى على ابن عبد البر عند وفاته (95) .

8 - أبو بحر الاسدي ، امام فى الحديث ، أديب ماهر (96) .

(88) سير النبلاء للذهبي ، جزء خاص بترجمة ابن حزم للاستاذ سعيد الافغاني - دار الفكر
بيروت - 1389 هـ - 1969 م .

(89) دائرة المعارف اللبنانية ج : 334/3 - بيروت .

(90) التكملة على كتاب الصلة ج : 821/2 ، نشر غزت المطار ، 1375 هـ - 1956 م .

(91) الصلة ، مجلد : 274/1 - طبعة مجرّبط .

(92) نفح الطيب ج : 113/2 ، تحقيق الدكتور احسان عباس - دار الفكر - بيروت .

(93) البغية ص : 370 - طبعة مجرّبط . الصلة : 334/5 - طبعة مجرّبط .

(94) البغية ص : 370 - طبعة مجرّبط . الصلة : 364/5 - طبعة مجرّبط .

(95) البغية ص : 314 - طبعة مجرّبط .

(96) البغية ص : 291 - طبعة مجرّبط .

9 - أبو علي الحسن الفسائي ، شيخ من شيوخ الحديث ، حافظ ، عالم بالرجال (97) ، ومن كتبه : « تقييد المهمل وتمييز المشكل »

10 - أبو عمران موسى بن أبي تليد ، فقيه حافظ ، محدث مشهور ، من تلاميذه أبو الوليد بن الدباغ الحافظ (98) .

11 - أبو محمد بن ثابت ، محدث ، خطيب بشاطبة (99) .

وهذا قليل من كثير ، إذ بلغ تلاميذه المآت ، يصعب على الباحث ان يجمعهم في بحث مخصص للمجلات كهذه ، ومن أراد المزيد فليرجع الى ذلك ، في رسالتي التي خصصتها لنيل دبلوم الدراسات العليا الإسلامية .

رابعاً : آثاره :

لم يرحل أبو عمر بن عبد البر للقاء ربه ، حتى خلف وراءه ثروة علمية هائلة ، وتمثل هذه الثروة العلمية في مؤلفاته العلمية الضخمة ، وفتاويه وشعره ووقفه ، وقد ترك كثيراً من المصنفات ربما ضاع أو فقد ، ولذا فمن الصعب الجزم بأن ما سأذكره هو كل الكتب والمصنفات التي ألفها ، ومن ثمة فأنني لا أستطيع أن أقول اني جمعت كل آثاره ، ولكن حاولت أن أضع لها قائمة تقريبية ، كما أنه من الصعب جمع تلك المصنفات في فئات حرفية على حسب مادتها ، لان الكثير منها متداخل ، ومختلف الموضوعات ، ولكن مهما كانت حقيقتها ، فإننا نستطيع أن نصنفها على التغليف كالتالي :

أ - في علوم القرآن :

من كتبه في علوم القرآن :

1 (كتاب البيان عن تلاوة القرآن ، جزء واحد (100) .

(97) المدارك ج : 808/4 ، 809 - طبعة بيروت .

(98) الصلاة ص : 515 - طبعة مجريط .

(99) البقية ص : 441 - طبعة مجريط .

(100) الجسدوة ص : 345 - الطبعة الاولى - القاهرة .

- 2 (كتاب الاكتفاء فى قراءة نافع وأبي عمرو بن العلاء (101) .
- 3 (كتاب الانصاف فيما فى بسم الله من الخلاف ، كتاب صغير .
عبارة عن فتوى (102) .
- 4 (« التجديد الى علم القراءة بالتجويد » جزآن ، ذكره الحميدى (103) .

ب - فى الحديث والفقه :

- 5 (كتاب التمهيد لما فى الوطأ من المعاني والاسانيد ، وهو كتاب ضخم يضم عشرة أسفار أو عشرين مجلدا ، أو تسعين جزأ ، وهو عبارة عن موسوعة ابن عبد البر ، ودائرة للمعارف الاسلامية ، جمع فيه من الحديث والفقه ما لا يوجد فى غيره ، وهو فريد فى منهجه وأسلوبه ، أو هو عبارة عن كشكول من المعارف .
- 6 (الاستذكار لمذاهب الامصار ، فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والاثار - أربعة أجزاء .
- 7 (التقصي لما فى الموطأ من حديث رسول الله والتجريد - أربعة أجزاء .
- 8 (كتاب فى حايث مالك خارج الموطأ (104) .

ج - فى الفقه :

- 9 (الكافي فى الفقه على مذهب أهل المدينة - ستة عشر جزءاً (105) .

-
- (101) الجـيـدوة ص : 345 - الطبعة الاولى - القاهرة .
- (102) مطبوع ضمن الرسائل المنيرة .
- (103) الجـيـدوة ص : 345 - الطبعة الاولى - القاهرة .
- (104) ذكره القاضي عياض فى ترتيب المداوك ج : 84/2 - الطبعة الاولى لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية - المغرب .
- (105) الجـيـدوة ص : 345 - طبعة القاهرة .

(10) كتاب اختلاف اصحاب مالك بن انس واختلاف رواياتهم عنه - اربعة وعشرون جزءاً (106) .

(11) كتاب الاجوبة الموعبة فى الاسئلة المستغربة (107) .

فى العلوم المختلفة :

(12) جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي فى روايته وحمله - جزآن

(13) كتاب الشواهد فى اثبات خبر الواحد (108) جزء واحد .

(14) الاشراف فى الفضائل (109) .

(15) اختصار التحرير واختصار التمييز لمسلم (110) .

د - فى التاريخ والسير :

(16) الانباه على قبائل الرواة - كتاب صغير .

(17) الاستيعاب فى طبقات الاصحاب - اثنا عشر جزءاً .

(18) كتاب الدرر فى اختصار المغازي والسير - ثلاثة اجزاء .

(19) اخبار ائمة الامصار - سبعة اجزاء .

(20) العضد والامم فى التعريف بأنساب العرب والمعجم - كتاب صغير .

(21) كتاب أسماء المعروفين بالكنى - سبعة اجزاء .

(106) الجريدة ص : 345 - طبعة القاهرة .

(107) المدارك للقاضي عياض ج : 809/4 - طبعة بيروت .

(108) التمهيد لابن عبد البر ج : 1 ، ص : 2 - الطبعة الاولى - المغرب .

(109) المدارك ج : 809/4 - طبعة بيروت .

(110) مقدمة البهجة لعلمى النجدة - طبعة القاهرة .

(111) الجريدة ص : 345 - طبعة مجربط .

22) الانتقاء فى فضل الثلاثة الفقهاء : مالك والشافعي وأبي حنيفة
جزء واحد (112) .

23) اخبار ائمة الامصار (113) - سبعة أجزاء .

24) جمهرة الانساب (114) .

25) اختصار تاريخ أحمد بن سعيد (115) .

26) فهرس شيوخه .

هـ - فى الادب :

27) بهجة المجالس وانس المجالس - مجلدان كبيران (116) .

28) نزهة المستعين ورضة الخائفين (117) .

29) العقل والعقلاء وما جاء فى أوصافهم عن الحكماء والعلماء -
جزء واحد .

30) الابتهاال بما فى شعر ابي العتاهية من الحكم والامثال (118)

31) رسالة أدب المجالسة وخوض اللسان (119) .

32) شرح زهديات ابي العتاهية .

خامسا : علمه وخلقه :

من العسير ان يصور الباحث مدى ثقافة ابن عبد البر ، لتشعب هذه
الثقافة وشمولها لجميع أنواع المعرفة فى عصره ، فهو عبارة عن
كشكول من المعارف المختلفة ، اذ كان يلهتم كل ما وجد فى طريقه من

(112) مطبوع ، وهو كتاب ترجم فيه ابن عبد البر الائمة الثلاثة .

(113) ذكره الحميدي والصبلي .

(114) كتاب صغير ذكره ابن فرحون فى الديباج المذهب .

(115) ذكره الحميدي والصبلي والقاضي عياض .

(116) طبع القسم منه بالقاهرة من طرف لجنة احياء التراث - الدار المصرية .

(117) لا زال مخطوطا بالفانكان .

(118) طبع ذكره عمر كحالة فى المنتخب ، من محفوظات المدينة المنورة .

(119) مخطوط فى دار الكتب المصرية .

العلوم والفنون مثله فى ذلك مثل الجاحظ ، لكن مع فارق بينهما ، فالجاحظ كان يميل الى العلوم التجريبية ، وابن عبد البر كان يميل الى العلوم الاسلامية وخاصة علوم الحديث .

فقد كان مشاركا فى جميع العلوم والمعارف ، من حديث ، وفقه ، وتاريخ ، وأدب ، وعلم الكلام ، والنحو واللغة ، والطب ، والهندسة ، والموسيقى ، واللغة الاجنبية .

ففى الحديث كان من الحفاظ الكبار ، ومن النقاد العظام ، الذين اتجهوا الى تمحيص الرواية ، واستخراجها من بين الدخيل ، وتمييز الخبيث من الطيب ، فدرس رواة الحديث ورجاله وأحوالهم ، وعرف الامين الضابط للرواية الفاهم من غيره ، حتى بلغ فى ذلك الذروة حيث وضع قواعد ومصطلحات للحديث ، لم يسبقه اليها أحد ، كما جمع حديثا كثيرا بسنده يمكن ان نسميه بمسند الحافظ ابن عبد البر .

وفى الفقه وصل الى درجة الاجتهاد ، حيث رجع فى استنباط احكامه الى الاصول التي استنبط منها الائمة والسلف الصالح قديما ونبذ التقليد ورجع الى طريق السلف ، وهي الاخذ من الكتاب والسنة مباشرة وبدون واسطة ، فاستنبط ، وصحح ورجح واختار ، وقارن المذاهب بعضها ببعض ، وأتى بالشواهد والحجج والبراهين ، فخلف باستنباطاته وترجيحاته ، فقه السنة المقارن او فقه المذاهب المقارن .

وكان فى فقهه مرنا ، متفتحا على جميع المذاهب بدون تعصب لهذا فهو مع الحق والصواب الذي يعطيه النص المقدس .

ورغم انه كان يعمل فى اطار المذهب المالكي ، فهو يميل الى المذهب الشافعي وأحيانا الى الحنفي ، او الحنبلي ، والواقع انه كان فوق المذاهب ، يستقي فقهه ، من منابعه الاصلية بل أحيانا كان يعارض الامام مالكا ، ويبدو ذلك جليا فى فتاويه واجتهاداته .

ويمتاز فقهه بالواقعية وعمق التفكير ، والاستقلالية ، وسعة الاطلاع ، ومن هنا فهو صالح لكل عصر ومكان .

وبجانب الحديث وعلومه ، والفقه وأصوله ، كان من القراء المجيدين ،
اذ كان له اطلاع واسع بالقراءات ، والقراء .

واما التفسير فلم يخصص له كتابا ، ولكنه يمكن ان نقول له تفسير
آيات الاحكام ، حيث ملا كتابه التمهيد والاستذكار وغيرهما من كتبه
بآيات مفسرة ومؤولة بتفسيراته وتأويلاته ، فكل مسألة فقهية الا
واستشهد عليها بآية مفسرة من عنده .

وهذه الآية المفسرة المنثورة هنا وهناك ، لو جمعت ، لتكون منها
احكام القراءان .

وقد خاض في الكلام والتصوف ، وجال جولات لا يستهان بها بل
يمكن ان نجعلها اصولا لعلم الكلام والتصوف السني .

وفى التاريخ والجغرافية كان من المؤرخين الكبار ومن الجغرافيين
البارعين ، وخاصة الجغرافية المكانية .

وفى الادب واللغة العربية ، اديب بارع ، وديوان ضخم من الشعر ،
وناقد ماهر ، وقاموس محيط ، ونحوي مقتدر لا يقل عن النسائي
والفراء وسبويه ، ورغم انه لم يؤلف كتابا فى النحو فقد ملأ جميع مؤلفاته،
بنظريات وتحليلات عميقة فى النحو وقواعد اللغة العربية كما كان له
نظريات فى الطب والهندسة والفلك والموسيقى (120) .

وبجانب هذه المعارف المتنوعة ، والثقافة الواسعة ، كان له على
الاقل المام باللغة الاجنبية من لاتينية وفارسية .

وكان ابن عبد البر يمتاز بقدرات عقلية هائلة ، اهلته لان يحتل
المكانة الاولى فى المغرب العربي الاسلامي (الاندلس والمغرب) ؟ اذ
حباه الله بالذكاء الوقاد ، والحافظة القوية والذاكرة الواعية ، والعقل
الجبار ، والصبر والجلد والاخلاص فى طلب العلم وحبه الشديد له .

وكان يجمع الى ذلك كله آداب الاخلاق ، ومع حسن المعاشرة ولين
الكنف ، وكثرة الاحتمال وكرم النفس والاباء ، ومهابة العلماء والاتقياء .

(120) انظر كتابة جامع بيان العلم وفضله ج : 47/2 وما بعدها - دار الفكر - بيروت .

سادسا : آراؤه :

١ - فى العقائد :

يرى ابن عبد البر أن العلم الاعلى هو علم الدين ، ومنه معرفة التوحيد ، ولا يتوصل الى هذه المعرفة الا بواسطة النبي (ص) وبما جاء فى القرآن من الصفات الدالة على الله .

ويرى انه الجدل فى صفات الله وفى العالم الفيبى مذموم ، وأن القول فى ذلك بالراى والظن والقياس على غير أصل ممنوع (121) لان ذلك توقيفى ، فلا مجال لاستعمال العقل فيه كما فعل أهل البدع .

والايمان عنده هو الشهادة باللسان والاقرار بالقلب بأن الله وحده لا شريك له ، وبأن محمدا عبده ورسوله ، وأن له ملائكة ورسلا وأن الانسان سيبعث فى اليوم الآخر .

ويرى ان علم الله قديم وواحد وشامل ، أزلي ، أبدي ، وجميع المخلوقات يجرون فى علمه وأرادته وقدرته ، فلا يخرج شيء من خلقه عن ذلك ، وأن كل ما هو كائن وما سيكون سبق فى علم الله وأرادته (122) .

ويقول ابن عبد البر بالجهة ، اذ يعتقد ان الله يقع جهة الاعلى ، ومن ثم فهو يقول بالفوقية .

اما القضاء والقدر عنده هر سر من اسرار الله ، لا يدرك بجدال ولا نظر ، وحسب المومن من القدر ان يعلم أن الله لا يقوم دون ارادته ، ومن ثم فأفعال الانسان كلها من عند الله وأنها سبقت فى علم الله الأزلي (123)

ويرى ان التداوي والمعالجة ، انما هي مباحة وليست بواجبة ، وأن القدر هو العلاج (124) .

(121) جامع بيان العلم وفضله ج : 49/2 - دار الفكر - بيروت .

(122) التمهيد ج : 138/3 ، 139 ، 140 - الطبعة الاولى - المغرب .

(123) التمهيد ج : 62/6 ، 63 ، 138 ، 139 ، 140 - الطبعة الاولى - المغرب .

(124) التمهيد ج : 278/5 - 279 - 138 - 139 - 140 - الطبعة الاولى - المغرب .

ويرى ان مرتكب الكبيرة مومن ، لكن الطهارة والصلاة لا يكفران عنه ولا ينعمانه ، الا اذا تاب ونوى عدم الرجوع اليها (125) .

اما الوعد والوعيد فيقول انه لا يتحتم على الله فيهما لا ثواب ولا عقاب ، فهو حر في ارادته ومشئته (126) .

والقرآن عنده كلام الله ، وما فيه حق من عند الله يجب الايمان بجميعه واستعمال محكمه وليس بمخلوق ، وان من يقول بخلقه مبتدع ومخالف للسنة .

والجدال والمراء في القرآن والمناظرة فيه لا يجوز ، ويرى ان ذلك كفر (127) ، اما الجدال في احكامه ومعانيه ، فيرى ابن عبد البر انه جائز (128) .

ويرى ان الجنة وأتار ، مخلوقتان موجودتان الآن ، وانهما لا تبيدان، واننا سنرى الله يوم القيامة ، وسننظر اليه كما ننظر البدر ليلة تمامه وكماله (129) .

اما عذاب القبر والدجال والشفاعة والحوض ، فمذهبه فيها هو مذهب أهل السنة ، وهو انه يجب التصديق بها ، وانها ستقع لا محالة (130) .

ويرى ان الروح والنفس شيء واحد ، لكن العقول تنحسر عن ادراكها وتعجز عن سبر غورها وكنها (131) .

د - في السياسة :

وفي السياسة كان رجلا واقعيا ، فبالنسبة للخلفاء الراشدين يرى انهم كلهم افضل الناس بعد رسول الله (ص) ويذكرهم على الترتيب ،

(125) التمهيد ج : 44/4 - 45 - 138 - 139 - 140 - الطبعة الاولى - المغرب .

(126) التمهيد ج : 12/6 - 13 - 14 - 138 - 139 - 140 - الطبعة الاولى - المغرب .

(127) جامع بيان العلم وفضله : 13/18 - دار الفكر - بيروت .

(128) نفس المصدر السابق .

(129) جامع بيان العلم وفضله ج : 169/2 - دار الفكر - بيروت .

(130) التمهيد ج : 191/2 - الطبعة الاولى - المغرب .

(131) التمهيد ج : 246/5 - الطبعة الاولى - المغرب .

لكنه يعتبر فى فلك الترتيب ، الترتيب الزمنى لا الترتيب القيمي ، فلا فرق بين الخلفاء الاربع فى الفضل غير ان كلام الحرورية ضلالة ، وكلام الشيعة هلكة (132) .

وبالنسبة لاختيار الخليفة ، فيرى انه يجب ان يختار من اهل الفضل والعدل والاحسان والدين ، فان لم يكن هذا فالصبر على طاعة الخليفة الجائر الظالم اولى بالخروج عليه ، لما فيه من استبدال الامن والخوف واراقة الدماء ، وشن الفارات والفساد ، وذلك اعظم من الصبر على جوره وفسقه (133) .

ويرى ان مخالفة العلماء للسلطان شيء مطلوب ، ومن اعمال البر (134) .

ح - فى الاجتهاد والرأي :

يقول انه يجب على العالم ان يجتهد ، اذا فقد النص ، ولا يجوز له ان يقلد احدا لان ذلك عنده مذموم ، ويرى ان التقليد بدون دليل شر ، لا يحفل به ، وصاحبه لا فرق بينه وبين البهيمة ، ومن هنا فقد ابطال التقليد ، واجاز الاتباع ، والاتباع عنده هو الرجوع الى قول عليه الدليل والحجة ، ويرى ان الاتباع جائز ، اما التقليد وهو الرجوع الى قول لا حجة لقائله فهو ممنوع فى الشريعة .

والاجتهاد عنده هو الاجتهاد الذي يقوم على الاصول لا على التقليد الاعمى ، ولهذا فالمجتهد هو من يرجع الى الكتاب والسنة والاجماع ويستنبط منها الاحكام باستعمال عقله وفكره طبق القواعد والاصول المتفق عليها ، لا من يرجع الى اقوال الفقهاء وتقليدهم تقليداً اعمى .

ويرى ان اختلاف العلماء ليس بحجة ، ولا يعتمد عليه ، فاذا استوت الادلة يجب الميل الى الاشبه بكتاب الله وسنة رسوله ، ويرى انه لا يجوز القطع الا بيقين (135) .

(132) جامع بيان العلم وفضله ج : 224/2 - دار الفكر - بيروت .

(133) شرح الزرقاني ج : 9/3 - ط 12 - المغرب .

(134) جامع بيان العلم وفضله ج : 223/1 - دار الفكر - بيروت .

(135) جامع بيان العلم وفضله ج : 99/2 - دار الفكر - بيروت .

سابعاً : مناهجه :

تابع ابن عبد البر فى نشاطه الفكرى اسلوباً فريداً من نوعه ، اعترف به الاعداء قبل الاصدقاء وهو اسلوب يتسم بالجمع بين منهج العقلانيين الذى يعتمد على الاستقراء والاستنباط ، وبين منهج المحدثين الذين يعتمد على النقل والرواية ، وهذا الاسلوب الذى يعتمد على الازدواجية هو منهج ابن عبد البر . وقد قسمته الى اربعة اقسام :

اولا - منهجه فى العقيدة :

ففى العقيدة يقوم على الاتباع وعدم الاجتهاد واستعمال العقل ، لانها توفيقية ولا مجال للعقل فيها ، ولا مكان للقياس فى صفات الله تعالى ، فالقياس يكون فى الاحكام لا فى العقيدة .

ومن ثمة فمنهجه فى العقيدة هو منهج القرءان ، منهج الفطرة النقية والذوق السليم ، المنهج الذى اتبعه السلف من الصحابة والتابعين ، وهو المنهج الذى يعتمد على الرواية والنقل ، والرجوع الى منابع الدين سهلاً صافياً لم تكدره آراء اهل البدع والاهواء .

ثانيا - منهجه فى الفقه والاحكام الشرعية :

اما فى الفقه والاحكام الشرعية ، فمنهجه يقوم على الاجتهاد واستعمال القياس والتوسع فى استنباط الاحكام من القرءان والحديث ، والتقيد الشديد بالنصوص ، فما يعطيه النص حسب القواعد الاصولية ، فهو الحق ، فان صادف رايه أحد المذاهب صوبه او رجحه او اختاره او ايده ، وان خالف رايه فى ذلك راي أحد الائمة ، رده وعارضه ، مؤيداً قوله بالحجج والبراهين النقلية والعقلية والواقعية .

ومن هنا فان منهجه الفقهي منهج ازدواجي ، نقلي وعقلي ، اذ يقوم على الاجتهاد المقيد بالنصوص والتمسك بعمل السلف الصالحين ، وعدم التقليد .

والاسس التي بني عليها هذا المنهج هي : الكتاب والاجماع والقياس
المبني على الكتاب والسنة ، والنقد المعلل والذرائع والمصالح المرسله،
والتاويل واللفظة .

ثالثا - منهجه في الحديث :

اما منهجه في الحديث وعلومه فهو منهج المحدثين أو المنهج النقلي،
وهو المنهج الذي يعتمد على الرواية والسماع ، لكن ابن عبد البر يطعم
هذا المنهج بالمقارنة ، والنقد المعلل خاصة في الجرح والتعديل ، كما
يعتمد على الوقائع التاريخية ، والاحداث المتصلة بالرواية والرواة ، ومن
هنا فهو ازدواجي ايضا ، نقلي وعقلي .

والاسس التي بني عليها منهجه في الحديث والعلوم النقلية هي :
السماع والقراءة والوجادة والاجازة ، والمكاتبه .

رابعا - منهجه في التأليف والتدريس :

اما في التأليف والتدريس فكان منهجه يقوم على البرهنة
والاستشهادات الكثيرة وعلى أسلوب الاقناع والمنطق والاستطرادات
وهو منهج فريد من نوعه .

فهو بعد ان يعقد الباب بمسألة من المسائل الفقهية أو الادبية أو
بمعنى من المعاني المسوقة من الحياة ، أو بشيخ من الشيوخ كما فعل في
التمهيد ، يأتي بالحديث الذي يناسب الموضوع أو يأتي من القراء أن
الكريم أو بأبيات من الشعر العربي ، ثم يأتي بالطرق الاخرى التي روى
بها هذا الحديث ، وفي حالة نقدها يأتي بها جميعا ولو وصلت ما وصلت
وذلك لتصحيح حديث الباب ، أو لتأييد الفكرة التي عقد لها الباب ،
فيقابلها ويقارنها .

وعند دراسته لحديث الباب أو لفكرة من الافكار ، لا يترك لا صغيرة
ولا كبيرة الا واشبعها بحثا ودراسة ، وقتلها قتلا ، فيبدأ بجمع الطرق
المختلفة التي روى بها الحديث أو المعنى ويناقشها مناقشة علمية
ومنهجية ليطلع القارئ على الفرق بينها ، ثم يتناول رجال السنة فيفعل

معهم مثل ما فعل بالطرق ، من الدراسة والتنقيب عن احوالهم وامكنتهم ويربط الاحداث والوقائع بعضها ببعض .

ثم يكر بعد ذلك بالنقد والتمحيص متنا وسندا ، فاذا قضى وطره من ذلك اقبل على الحديث فيبين ما اشتمل عليه من احكام فقهية ، وقواعد اخلاقية .

ولا يفوته عند الحاجة ان يفسر الغريب من مفردات الحديث او الشعر ، ويمكن تلخيص منهجه في التأليف كما يلي :

1 - تقسيم المؤلف الى مقدمة وموضوع ، ثم تقسيم الموضوع الى ابواب وفصول .

2 - يعنون الابواب اما بصاحب السند كما في التمهيد ، او بمعنى من المعاني الذي يتعلق بالاحكام الشرعية او بموضوع في الاخلاق والحياة .

3 - جمع كل ما روى وقيل في الباب او الموضوع ، من حديث او آى او شعر او حكم .

4 - ترجمة الرواة وتعديلهم او تجريحهم .

5 - شرح ما استعجم من الالفاظ .

6 - وصل كل مقطوع او مرسل من الاحاديث ، المعقود لها الباب .

7 - مناقشة الفكرة مناقشة دقيقة وعميقة .

8 - اعطاء النتائج والاحكام التي توصل اليها .

ثامنا - مكانته بين العلماء :

استطاع ابن عبد البر بجه الشديد للعلم ، ان يتربع على كرسي الحفاظ فأطلق عليه لقب **حافظ المغرب** ، وبالعامل المتواصل ان يبلغ درجة الاجتهاد في عصره ، وان ينال شهادة العلماء وثناءهم عليه بعلمه

ومؤلفاته وأن ينتزع تقديرهم واحترامهم له ، ومن بين هؤلاء : ابن حزم الذي قال فيه وفي كتابه التمهيد : « لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلاً ، فكيف أحسن منه » (136) وما أدراك ما ابن حزم ، وأبو الوليد الباجي الذي قال فيه أيضاً : « لم يكن بالاندلس مثل أبي عمر ابن عبد البر في الحديث » (2) وزاد أيضاً قائلاً : « أبو عمر أحفظ أهل المغرب » (137) مع العلم أنه كان بين الباجي وابن عبد البر تنافر وتنافس على سؤدد العلم .

ويكفي للاستدلال على منزلته ومكانته أن ننقل هذا النص للفتح بن خاقان الذي قال فيه : « أبو عمر بن عبد البر الفقيه الامام العالم الحافظ ، امام الاندلس وعالمها الذي التحات به معالمها صحح المتن والسند ، وميز المرسل من المسند ، وفرق بين الموصول والمنقطع ، وكسا الملة منه نور ساطع حصر الرواة ، وأحصى الضعفاء منهم والثقات ، وجد في تصحيح السقيم ، وحدد ما كان منه بالكهف والرقيم ، مع معلقات العلل وارهاق ذلك العلل والتنبيه والتوقيف ، والاتقان والتنقيب وشرح المقل ، واستدراك المغفل ، وله فنون هي للشرعة رتاج ، وفي مفرق الملة تاج ، اشتهرت للحديث طبي وفرعت لمعرفته ربي ، وهبيت لتفهمه شمالا وصعبا ، وكان ثقة والانفس على تفضيله متفقة » .

وأما أدبه فلا تعبر لججه ولا تدحض حجته ، وله شعر لم نجد منه الا ما نفت به أنفه (138) .

وقال فيه ابن العماد : « هو العلامة العالم الحافظ لو عمر احد الاعلام ، وصاحب التصانيف وليس لاهل المغرب احفظ منه ، مع الثقة والدين والنزاهة والتبحر في الفقه والعربية » (139) .

وهذا قليل من كثير اقتصرت عليه خوفا من التطويل .

وكان لابن عبد البر تأثير كبير فيمن جاء بعده من الفقهاء والمحدثين والمؤلفين ظهر في افكارهم وعلى صفحات مؤلفاتهم ومن هؤلاء : الزرقاني

- (136) نفع الطيب ج : 2/767 ، تحقيق د. احسان عباس ، توزيع دار الفكر - بيروت .
- (137) وفيات الاعيان ج : 7/66 ، تحقيق د. احسان عباس - دار الفكر - بيروت .
- (138) نفع الطيب ج : 4/29 - 30 ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .
- (139) شذرات الذهب ج : 3/314 - 313 ، المكتبة التجارية للطباعة والنشر - بيروت .

فى شرح موطأ مالك ، وجلال الدين السيوطى فى تنوير الحوالىك ،
والحافظ بن حجر فى شرحه لصحيح البخارى ، وابن رشد فى بداية
المجاهد ، والشاطبى فى الموافقات ، والقرطبى فى تفسيره الجامع لأحكام
القرآن ، وابن العربى فى أحكام القرآن ، والقسطلانى فى شرح صحيح
البخارى ، ارشاد السارى ، وابن القيم الجوزية فى اعلام الموقعين عن
رب العالمين ، وغيرهم كثيرون .

كما كان لأفكاره وكتبه دور كبير فى تهيه الأفكار لقبول دعوة
الموحدين الى توحيد الاتباع ونبد النقلة التقليد ، والحكم بما أنزل
الله (140) .

وهذه المتانة الرفيعة ، وتلك القمة الشامخة أحرز عليها بعلمه الواسع
بالعلوم الإسلامية والأخبار والأنساب وبعلمه سندده وصحته ، وكثرة تأليفه
وقيمتها العلمية والأدبية ، وتمسكه بمنهج السلف الصالح وبشخصيته
القوية التي لا تخاف فى الله لومة لائم ، وبعمره الطويل الذي قضاه كله
فى البحث عن العلم والمعرفة .

وبالجملة فان ابن عبد البر ، احتل مكانة ممتازة فى الثقافة
الإسلامية والأدبية ، وخاصة فى الحديث وعلومه ، حيث أحرز على لقب
حافظ المغرب ، ومعلوم ان هذا اللقب ، لا يطلق الا على من حفظ مائة
الف حديث .

تألهما - وفاته :

توفى ابن عبد البر - رحمه الله - بشاطبة حيث انتهى به المطاف
يوم الجمعة آخر يوم من شهر ربيع الثانى سنة ثلاث وستين وأربعمائة
هجريه ، موافق 1071 ميلادية ، وصلى عليه تلميذه وصاحبه أبو الحسن
طاهر بن مفوز المعافري ، وكانت وفاته هو والخطيب البغدادي فى يوم
واحد وفى سنة واحدة ، وكان الخطيب البغدادي حافظ المشرق ، وابن
عبد البر حافظ المغرب .

وقد عاش ابن عبد البر أكثر من خمس وتسعين سنة ، قضاه كلها
فى الجهاد فى سبيل العلم والمعرفة .

(140) انظر كتابه : جامع بيان العلم وفضله .

